السلالم الحجاجية في مغالطات المشركين في القرآن الكريم

The argumentative scales in the fallacies of the polytheists in the Holy Quran

فاطنة سويح[1] ، أبو بكر زروقي[2]،

[1] جامعة محمد خيضر مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها(الجزائر)، fatna.souiah@univ-biskra.dz

[2]جامعة محمد خيضر مخبروحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها(الجزائر)، aboubakerzeroki@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/16 تاريخ القبول: 2023/06/11 تاريخ النشر: 2023/06/18

الملخص:

تسعى هذه الدراسة للبحث في أحد الآليات الحجاجية، الذي يعتبر من أهم آليات الحجاج اللغوي التي ذكرها أزفالد ديكرو، يتعلّق الأمر بالسلّم الحجاجي، وتطبيقه على ظاهرة خطابية تدخل ضمن الحجاج الخاطئ أو كما يُسمى الحجاج المغالطي، يتعلّق الأمر بالمغالطات، فالبحث يُحاول دراسة المغالطات وفق السلّم الحجاجي، مرورا بأدوات الربط والعطف المتمثلة في الروابط والعوامل الحجاجية.

الكلمات المفتاحية: السلالم؛ مغالطة؛ الحجاج؛ القرآن

Abstract:

This study seeks to research one of the mechanisms of argumentation, which is considered one of the most important mechanisms of linguistic argumentation mentioned by **Oswald Ducrot**,It is about thethe argumentative scales, and its application to a rhetorical phenomenon that falls within the false argument or as the fallacious argument is called, it is about fallacies, as research tries to study fallacies according to argumentative scales, passing through the tools of linking represented by links and argumentative factors.

Key words: TheScales, Fallacy, The argumentative, The Quran.

المؤلف المرسل: فاطنة سويح، **الإيميل:** fatna.souiah@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

يُعد السلّم الحجاجي من أبرز آليات الحجاج اللغوي التي ذكرها ديكرو، فعندما توجه علاقة ترتيب أو قوة العناصر الموجودة داخل قسم حجاجي سنقول إنّ الحجج تنتمي إلى سلّم حجاجي واحد، فالسلّم هو قسم حجاجي موجه وعلاقة ترتيبية للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة، وذلك بحسب القوة الحجاجية لكل حجة.

وهذه الآلية اللغوية موجودة بكثرة في القرآن متمثلة في حجج المشركين، تلك الحجج الواهية، الحجج المعوجّة، أو فلنقل "المغالطات"، وتعد هذه الأخيرة نمط حجاجي، بَيْدَ أنّه يستعمل على نحو غير مناسب، وهي استدلالات خاطئة تبدو وكأنها صحيحة لكنّها غير ذلك.

إشكالية الدراسة:

تتمحور الإشكالية الكبرى للبحث حول السلّم الحجاجي، هل هو مستعمل في خطابات المشركين المتمثلة في المغالطات؟

وتتفرع بعض الأسئلة عنها:

- ما السلّم الحجاجي وقوانينه؟
- ما العلاقة التي تربط السلّم الحجاجي بالمغالطات؟
- هل في خطابات المشركين حجة قوية وحجة ضعيفة؟

أهداف البحث:

- التعريف بالسلّم الحجاجي وقوانينه.
- استخراج الآيات المتضمنة مغالطات المشركين وترتيبها في السلّم.
- شرح السلّم الحجاجي في المغالطات.

منهجية البحث:

- **منهج البحث:** تعتمد هذه الدراسة منهج المقاربة الحجاجية الذي نراه الأنسب لمثل هكذا دراسة.

- **صعوبات البحث:** لا يمكن القيام بأي بحث دون صعوبات، وصعوبات هذا البحث تكمن في كثرة المادة العلمية وتشبعها مَمَّا يصعب علينا ضبطها واختيار الأنسب منها.

- **حدود الدراسة:** يُعتبر هذا البحث جزئية دراسة فقط من موضوع شاسع، ألا وهو الحجاج اللغوي (اللساني)، أمّا دراستنا فجزئية متمثلة في "السلّم الحجاجي في المغالطات".

2.الدراسة النظرية

1.2 الحجاج:

1.1.2 لغة: الحجّ: هو "القصد، والكفّ والقُدوم"(الفيروز آبادي، 1462 هـ-2015م، صفحة 183)"، وجاء في معجم العين "الحجة وجه الظفر عند الخصومة، والفعل حاججته فحججته، واحتججتُ عليه بكذا، وجمع الحجة: حجج والحجاج المصدر"(الفراهيدي، دون سنة، صفحة 09)، وجاء في التعريفات: "الحجة: ما دلّ على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدّليل واحد"(الجرجاني، دون سنة، صفحة 73)والحجة: "ما دوفع به الخصم، وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاجج التخاصم"(ابن منظور، 1417 هـ-1997م، صفحة 228).

2.1.1 اصطلاحا: يعرّف الحجاج على أنه: "تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة، والغاية المتوخاة"(العزاوي، الخطاب والحجاج، 2010م، صفحة 09)، وهو "تقديم الحجج المؤدية إلى نتيجة معّينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"(العزاوي، اللغة والحجاج، 1426 هـ-2006م، صفحة 17)، وهو: "فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعّالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة"(حمداوي، دون سنة، صفحة 17).

2.2 المغالطة:

1.2.2 لغة: يعرّف الشريف الجرجاني المغالطة بأنّها: "قياس إمّا من جهة الصورة، أو من جهة المادة، أمّا من جهة الصورة فبألاّ تكون على هيئة منتجة لاختلال شرط بحسب الكيفية أو الكمية أو الجهة، كما إذا كان كبرى الشكل الأوّل جزئية، أو صُغراه سالبة أو ممكنة"(الجرجاني، دون سنة، صفحة 242)، وتسمّى المغالطة سفسطة وقد تسمى مشاغبة، يقول الشريف الجرجاني: "وقيل المغالطة مركبّة من مقدمات شبيهة بالحق، ولا يكون حقّا، ويسمّى سفْسطة، أو شبيه بالمقدمات المشهورة وتُسمى مشاغبة"(الجرجاني، دون سنة، صفحة 243).

2.2.2 اصطلاحا: والمغالطة في التعريف الاصطلاحي هي: "نمط من الحجاج، لكنّه يستعمل على نحو غير مناسب، وهذا ما يفيده المعنى اللغوي للكلمة، فالغلط أن تعيا بالشيء

فلا تعرف وجه الصواب فيه"(علوي، 2011، صفحة 131)؛ أي أنهّا استدلالات خاطئة تبدو وكأنها صحيحة، كونّها مقنعة سيكولوجيا، وغير مقنعة منطقيا لغموضها اللغوي أو لأسباب أخرى، فهي: "نوع من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلّم، وتكون منطوية على فساد في المضمون أو الصورة، إمّا بقصد أو دون قصد"(الراضي، 2010م، صفحة 13).

3.مفهوم السلالم الحجاجية:

حينما «توجه علاقة ترتيب أو قوة العناصر الموجودة داخل قسم حجاجي سنقول إنّ الحجج تنتمي إلى سلّم حجاجي واحد، فالسلّم الحجاجي هو إذن قسم حجاجي موجه ونمثل للسلّم الحجاجي بواسطة النتيجة "ن" والحجتين "ق" و "قَ" التي تستجيب ثلاثتها لتعريف القوة الحجاجية على النحو التالي»(موموشلر و ريبول، 2010م):

السلالم الحجاجية والظواهر الدرجيّة

الشكل رقم 01

وجاء في كتاب السلميات الحجاجية: «السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة، بحسب القوة الحجاجية لكل حجة، ومعلوم أنّ الحجج اللغوية متفاوتة في قوتها الحجاجية، فهناك الحجة الضعيفة والحجة الأضعف وهناك الحجة القوية والحجة الأقوى، أي من الأضعف إلى الأقوى صعودا، ومن الأقوى إلى الأضعف إلى الأضعف نزولا، ويكون الترتيب هكذا: من الأضعف إلى الضعيف، إلى القوي، إلى الأقوى، الحجج اللغوية بخلاف البراهين المنطقية، غير متساوية في قوتها، وغير متماثلة من حيث طبيعتها»(ديكرو، 2020م، صفحة 19)، والعلاقة المجازية تتجلى بين «الدعوى والحجة، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حدّ ما وذلك بالرغم من أنّها تتجسد بطبيعة الحال من خلال

الأدوات اللغوية، فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوّتها، إذ لا يثبت، غالبا إلّا الحجة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السياق ولذلك يرتّب المرسل الحجج التي يرى أنّها تتمتّع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه"(الشهري، 2004م، صفحة 500) كما أنّه "يمكن أن ترمز للسلم الحجاجي كما يلي: ق: (ن) رمز للنتيجة، و(أ ب ج) رموز للحجج، وهذه الحجج يقدمها المتكلّم لصالح نتيجة معينة وعندما نجد أن الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية معينة، والموجهة إلى خدمة نتيجة واحدة، بينما علاقة ترتيبية بحسب درجات القوة الحجاجية، فإننا نتحدث عن السلم الحجاجي ونقول: إنّ هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم. والعلاقة هي علاقة ترتيبية موجهة حجاجيا"(ديكرو، 2020م، صفحة 20).

وهذا الترتيب هو "ما يسمّى بالسلم الحجاجي، ومن أبسط تمثيلاته ما يكتب عن الإنسان عند عرض سيرته الذاتية من الترتيبات في حياته، منها نموّه المعرفّي وأعماله، ويمكن تعريف السلك الحجاجي بأنّه: "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين: أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته، ب- كل قول كان في السلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"(الشهري، 2004م، صفحة 500).

4. قوانين السلّم الحجاجي:

لقد "صاغ ديكرو قوانين ثلاثة ضمن كتاباته حول السلّم الحجاجي، وعدّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم وهي:

4.1قانون تبديل السلم (النفي): ويقتضي هذا القانون أنّه إذا القول دليلا على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله بمعنى إذا كانت (ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ليس ج)"(صادق، 1436 هـ- 2015م، صفحة 118)، ويمكن أن نمثل بالمثالين التاليين: "-زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان،- زيد ليس مجتهدا، إنّه لم ينجح في الامتحان، فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الوارد في المثال الأوّل، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثالث"(العزاوي، اللغة والحجاج، 1426 هـ-2006م، صفحة 22).

2.4 قانون القلب والنسخ الأوسط: "يتم النسخ 'الأوسط) عند قيام مانع يُسَوّغ تخلف الحكم الشرعي وهو ما يعرف بـ "الترخيص" ومن قواعده أنّه:

1.2.4 إذا رُخّص في الواجب، انتقل الحكم إلى مرتبة إباحة الترك أو إلى مرتبة الحرام.

2.2.4 إذا رخص في الحرام، انتقل إلى مرتبة إباحة الفعل أو إلى مرتبة الواجب.

ولما كان قانون القلب يقتضي بإنقلاب قوة الدليل عند دخول النفي، فإنّ النسخ "الأوسط" ينضبط به، فما كان يحث على الفعل حثا أوقى، يصح بالترخيص حثا أخس على الترك، والعكس بالعكس، كما ينضبط به تحول القياسين: الأَوْلى والأدنى، أحدهما إلى الآخر، فما كان في قياس الأوْلى دليلا أقوى على التحريم مثلا، يصير بإدخال النفي في قياس الأدنى دليلا أخس على إباحة الفعل، والعكس بالعكس، وهكذا، بالنسبة للجهات الشرعية الباقية"(عبد الرحمن، 1998م، صفحة 289)وللتوضيح أكثر نستعين بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أوقى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه، وهذا يفسّر لنا أيضا لحن الجملتين التاليتين، أو شذوذهما وغرابتهما على الأقل:

- حصل زيد على الدكتوراه، بل حصل على الماجستير"(العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته –دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، 2010م).

3.4 قانون الخفض: "يوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة «Moins que» فعندما نستعمل جميلا من قبيل:

- الجو ليس بلردا.
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الثاني)، أو أنّ الأصدقاء كلّهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني) وسيؤول القول الأول على الشكل التالي:

- إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي:

- لم يحضر إلّا القليل منهم إلى الحفل"(العزاوي، اللغة والحجاج، 1426 هـ-2006م، صفحة 24).

كما أنّه "يرتبط بمفهوم السلّم الحجاجي مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي، ويعني هذا المفهوم أنّه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، هذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا. فإذا كان القول او الخطاب معلما، أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإنّ هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلّق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب. أمّا في حالة كون القول غير معلم، فإنّ التعليمات المحددة للإتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السيّاق التداولي والخطابي العام"(العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، 1427 هـ- 2006م، الصفحات 62-63).

5. مبدأ القوة الحجاجية:

هناك مجموعة من «الروابط الحجاجية مثل (لكن وحتى) تحدد درجة قوة الحجج في تعزيز النتائج، وتفاضل بينها، بحيث يمكننا الحديث عن طبيعة تدرجية للحجج تتيح لنا دراسة النشاط الحجاجي اعتمادا على عباراتمثل "أكثر" و"أقل".

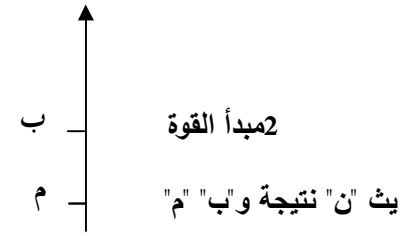

ويظهر من خلال هذا الشكل أنّ الحجة "ب" أقوى من الحجة "م" في تعزيز النتيجة "ن"»(الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، 2005، صفحة 230).

وسائل السلّم الحجاجي اللغوية:

إنّ الحجاج يتحقق بالسلّم الحجاجي باستعمال وسائل –أدوات– لغوية، وآليات شبه منطقية كالتالي:

- الأدوات اللغوية كالروابط الحجاجية، نحو: (بل، لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب) السمات الدلاليّة، ودرجات التوكيد.
- الصيغ الصرفية: (أفعل التفضيل، صيغ المبالغة).
- المفهوم: الموافقة، المخالفة.
- حجة الدليل(الشهري، 2004م، صفحة 508).

كما ينبغي التمييز –حسب ديكرو– «بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط الحجاجية هي التي تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا حجاجيا محددا حسب السياق التداولي، ومن بين هذه الروابط: بل، لكن، حتى، ولا سيما، إذن، بما أنّ، إذ...إلخ، أمّا العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين حجة وأخرى، بل تقوم بدور حصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها داخل ملفوظ حجاجي معيّن، ومن أدواته، ربما، وتقريبا، وكاد، وقليلا، وكثيرا، وما...إلّا، وجل أدوات الحصر والقصر»(حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، 2020م، صفحة 171).

إنّ «الروابط والعوامل هي مفاهيم أساسية في التصور الحجاجي اللّساني، بل إنّ النظرية الحجاجية في جوهرها تقوم على دراسة هذه العوامل والروابط الحجاجية»(الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، 2005، صفحة 233) ويعرّف «العامل الحجاجي كذلك بأنّه صريفة (مورفيم) إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين، يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ»(الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، 2005، صفحة 235) أمّا الرابط فهو «صريفة تصل بين ملفوظين، أو أكثر جرى سوقهما في في إطار الإستراتيجية الحجاجية نفسها»(الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، 2005، صفحة 235).

أمّا المبادئ الحجاجية «فهي بمثابة ضمان للروابط الحجاجية، وتقابل ما يسمى بمسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري والرياضين ولها خصائص ومميزات

وقواعد ومبادئ عدة، منها: أنّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة، كما أنّها تتصف بالعومية، أي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة، وتتميّز بالتدرج من خلال الإنتقال من الحجة المعروضة للتنفيذ والنفي والإبطال بحجة مضادة قوية، أو تكون الحجة الواردة في الملفوظ قابلة لنفيها، كأن نقول: اجتهد، إذن تنجح، وربما قد تؤدي الحجة إلى نقيضها ألا وهو الفشل وللتمثيل: (سينجح زيد لأنّه مجتهد)، وتترجم المبدأ الحجاجي لهذه الجملة بالشكل التالي: كلما كان زيد مجتهدا، كان يستحق النجاح، أو يؤدي الاجتهاد إلى النجاح، أو تكون فرص نجاح زيد بقدر عمله واجتهاده»(حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014م، صفحة 133).

6. الدراسة التطبيقية:

فلنتأمل قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**﴾ (35 الكهف).

ويمكن أن نمثّل هذا السلّم كالآتي:

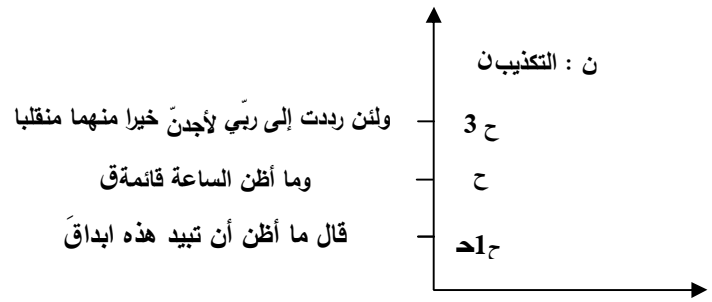

يمثّل السلّم ثلاث حجج مرتّبة تصاعديا –من ادناها إلى أعلاها– فالحجة الأدنى متمثلة في قوله: «قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا»، ثم تليها حجة أقوى منها متمثلة في قوله: «وما أضن الساعة قائمة»، ثم تليها حجة أقوى متمثلة في قوله: «ولئن رددت إلى ربي لأجدّن خيرا منهما منقلبا»، وهذه الحجج ح1، ح2، ح3 تخدم النتيجة "ن" والمتمثلة في "التكذيب".

وجاء في التحرير والتنوير «الأبد: مراد به طول المدة، أي هي باقية بقاء أمثالها لا يعتريها ما يبدلها، وهذا إغترار منه بغناه وإغترار بما لتلك الجنة من وثوق الشجر وقوته

وثبوته واجتماع أسباب نمائه ودوام حوله، من مياه وظلال، وانتقل من الإخبار عن اعتقاده دوام تلك الجنّة إلى الإخبار عن اعتقاده بنفي قيام الساعة، ولا تلازم بين المعتقدين، ولكنّه أراد التورك على صاحبه المؤمن تخطئة إيّاه، ولذلك عقب ذلك بقوله: «ولئن رددت إلى ربّي لأجدّن خيرا منهما منقلبا» تهكّما بصاحبه وقرينة التهكم قوله: «وما أظّن الساعة قائمة»، وأكد كلامه بلام القسم ونون التوكيد مبالغة في التهكم»(بن عاشور، 1984م، الصفحات 320-321).

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾ المدثر 46.

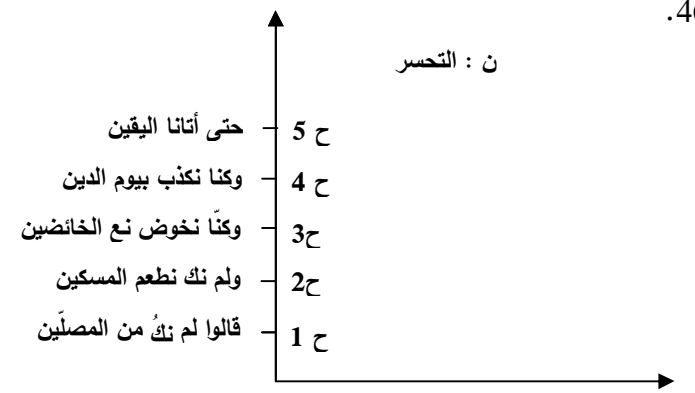

نلحظ أنّ: ح1/ ح2/ ح3/ ح4/ ح5 حجج متدرجة في القوة تخدم النتيجة "ن"، وهذه الحجج «تنتمي إلى فئة حجاجية معينة، وتنهض على علاقة تراتبية؛ لذا فهي تشكل سلما حجاجيا موجها نحو ما يريد أن يصل إليه المخاطب»(صادق، 1436 هـ- 2015م، صفحة 117)، جاء في التحرير والتنوير: «وأجاب المجرمون بذكر أسباب الزج بهم في النّار لأنهم ما ظنوا إلّا ظاهر الاستفهام، فذكروا أربعة أسباب هي أصول الخطايا وهي: أنّهم لم يكونوا من أهل الصلاة فحرموا أنفسهم من التقرب إلى الله، وأنّهم لم يكونوا من المطعمين المساكين وذلك إعتداء على ضعفاء الناس بمنعهم حقهم في المال، وأنّهم كانوا يخوضون خوضهم المعهود الذي لا يعدُو على تأييد الشرك وأذى الرسول والمؤمنين، وأنّهم كذبوا بالجزاء فلم يتطلبوا ما ينجيهم، وهذا كناية عن عدم إيمانهم، سلكوا بها طريق الإطناب المناسب لمقام

التحصر والتلهف على ما فات»(بن عاشور، 1984م، صفحة 327) وقوله: ﴿**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ أي الصلاة الواجبة ، أمّا قوله: ﴿**وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾ أي ما يجب إعطاؤه، أمّا قوله: ﴿**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾ أي نشرع في الباطل مع المشرعين فيه، أمّا قوله: ﴿ **وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾ أخّره لتعظيمه أي وكنّا بعد ذلك كلّه مكذّبيم يالقيامة، وقوله: ﴿**حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾ الموت ومقدّماتُه(القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، 1421 هـ- 2000م، صفحة 469).

ولنتأمل قوله عز وجل: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ 33 البقرة.

ونمثل لهذا السلّم بالشكل الآتي:

إنّ السلّم الحجاجي: «يمثل صلب الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها، إذ لا يلبث غالبا إلّا بالحجة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السياق، ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه»(الشهري، 2004م، صفحة 123)، إذ تمثل الجمل الواردة في الشكل أعلاه حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي والقول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلّم الحجاجي، وكون "إبليس" من الكافرين هو بالتالي أقوى دليل على تكبر وغرور "إبليس" ورفضه للسجود(العزاوي، اللغة والحجاج، 1426 هـ-2006م، صفحة 21) وتأويل قوله: « "أبى"، يعني جلّ ثناؤه بذلك إبليس، أنّه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له و "استكبر"، يعني بذلك أنه تعظّم وتكبّر عن طاعة الله في السجود لآدم، وهذا، وإنّ كان من الله جلّ ثناؤه خبرا عن إبليس فإنه تقريع لضّربائه من خلْق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم

على بعضٍ من الحقّ، وكان ممّن تكبّر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، وقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ -يعني إبليس- من الجاحدين نعم الله عليه وأياديه عنده، بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم، كما كفرت اليهودُ نعم ربها التي آتاها وآباءها قبل: من إطعام الله أسلافهم المَنَّ والسلوى، وإظلال الغمام عليهم(الطبري، 1415 هـ – 1994م، صفحة 173).

والجمل الثلاث المتمثلة في: "إلّا إبليس أبى"، "استكبر"، وكان من الكافرين تخدم النتيجة: "ن" والمتمثلة في "عدم سجود إبليس"، فالحجاج -كما نعلم- هو تقديم الحجج والأدلة إلى نتيجة معينة، إذ يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، هو يتمثّل في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إنّ كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أنّ التسلسلات الخطابية محددة(العزاوي، اللغة والحجاج، 1426 هـ-2006م، صفحة 16).

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ 17 الأعراف.

ويمكن أن نمثل لهذا السلّم كالآتي:

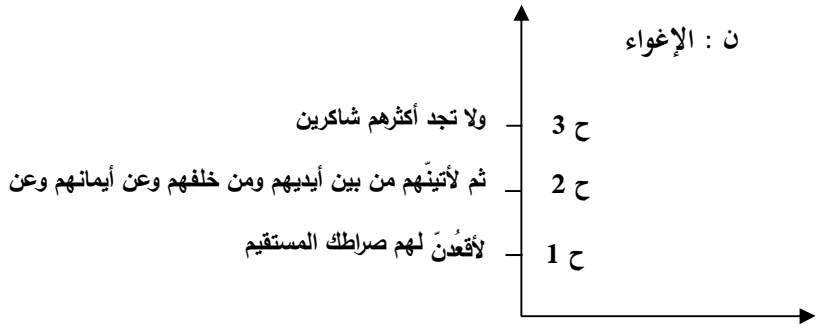

يمثل السلّم أعلاه الإغواء، أي إغواء إبليس للناس، ولقد جاءت الحجج التي تخدم هذه النتيجة مرتبّة تصاعديا من الأدنى إلى (ح1) إلى الأقوى (ح3).

جاء في التحرير والتنوير: «لأقعدنّ: لام القسم تأكيد حصول ذلك وتحقيق العزم عليه»(بن عاشور، 1984م، صفحة 46)، وجملة: «ثم لآيتنّهم، (ثم) فيها للتّرتيب الرّتبي، وهو التدّرج في الأخبار إلى خبر أهم لأنّ مضمون الجملة المعطوفة أوقع في غرض الكلام من مضمون الجملة المعطوف عليها، لأنّ الجملة الأولى أفادت الترصد للبشر بالإغواء، والجملة المعطوفة أفادت التّهجّم عليهم بشتّى الوسائل»(بن عاشور، 1984م، صفحة 49) وجملة: «"وتجد أكثرهم شاكرين" زيادة في بيان قوّة إضلاله بحيث لا يفلت من الوقوع في حبائله إلّا القليل من النّاس، وقد علِم ذلك بعلم الحدس وترتيب المسببات»(بن عاشور، 1984م، صفحة 50).

كما أنّ نظرية السلالم الحجاجية تطرح «تصورا لعمل المحاججة من حيث هو تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعددا للحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أنّ هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج، كما أنّ الحجج قد تنتمي إلى قسم واحد كقولنا»(بوقرة، 1431 هـ- 2010م، صفحة 282): أغوى إبليس العباد "ن" فقد قال: "لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم" (ح1)، وقال: "ثم لأتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم" (ح2)، وقال: "ولا تجد اكثرهم شاكرين" (ح3).

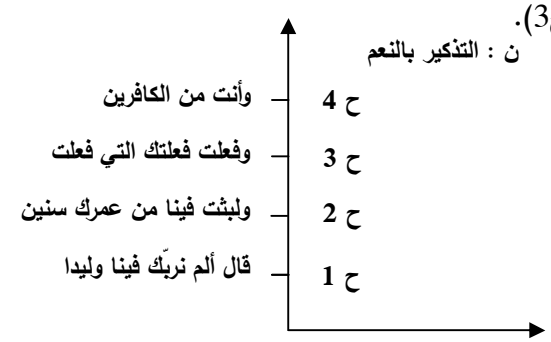

«طوي من الكلام ذهاب موسى وهارون إلى فرعون واستئذانهما عليه وإبلاغهما ما أمرهما الله أن يقولا لفرعون إيجازا للكلام. ووجّه فرعون خطابه إلى موسى وحده لأنّه علم من تفصيل كلام موسى وهارون أنّ موسى هو الرسول بالأصالة وأن هارون كان عونا له على

التبليغ فلم يشتغل بالكلام مع هارون، وأعرض فرعون عن الاعتناء بإبطال دعوة موسى فعدل إلى تذكيره بنعمة الفراعنة أسلافه على موسى وتخويفه من جنايته حسبانا بأنّ ذلك يقتلع الدعوة من جذمها وسكف موسى عنها، وقصدُه من هذا الخطاب إفحام موسى كي يتلعثم من خشية فرعون حيث أوجد له سببا يتذرع به إلى قتله ويكون معذورا فيه حيث كفر نعمة الولاية بالتربية، واقترف جرم الجناية على الأنفس»(بن عاشور، 1984م، صفحة 110).

نلحظ أن الحجج (ح1، ح2، ح3، ح4) جاءت مرتبة تدريجيا من الأضعف على الأقوى، فنظرية السلالم الحجاجية تقوم على «التدرج القائم بين الأقوال والحجج في علاقتها بالنتائج، حيث إذا كانت مجموعة من الأقوال تمثل حججا تدعم نتيجة واحدة، فإنّ هذه الحجج تتفاوت من حيث قوتها»(قادا، 1437 هـ-2016م، صفحة 180).

7. خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- إنّ السلّم الحجاجي عبارة عن علاقة ترتيبية للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة، بحسب القوة الحجاجية لكل حجة.
- للسلّم الحجاجي قوانين ثلاثة وهي بمنزلة قواعد تدعم هذا السلّم (قانون تبديل السلّم، قانون القلب، قانون الخفض).
- وللسلّم وسائل لغوية يتحقق بها الحجاج، تتمثل في الروابط والعوامل الحجاجية، الصيغ الصرفية والموافقة وكذا حجة الدليل.
- الحجاج تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة، والغاية المتوخاة، والسلّم الحجاجي آلية لغوية يتضمنها الحجاج اللغوي عند ديكرو.
- أنّ المغالطة نمط من الحجاج، بَيْدَ أنّه يستعمل على نحو غير مناسب في استدلالات خاطئة تظهر وكأنها صحيحة.
- أنّ المغالطات موجودة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، متمثلة في حوارات المشركين وعنادهم وتكذيبهم ورفضهم للدين بحجج واهية، ظاهرها صحيح وباطنها خاطئ،

وقد جاءت حججهم الباطلة بالتدرج وفق السلّم الحجاجين فهي في نظرهم حججا تبرهن أفكارهم وآراءهم، وهم يحسبون أنّهم على حق، بَيْدَ أنّهم أهل الباطل، وأهل الأكاذيب، وأهل الجهل، والعياذ بالله.

8. قائمة المراجع:

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور.. *لسان العرب* (الإصدار 6، المجلد 2). (بيروت: دار صادر، 1417 هـ-1997م).

أبو بكر العزاوي. *الخطاب والحجاج* (الإصدار 1). (بيروت، لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر 2010م).

أبو بكر العزاوي. *اللغة والحجاج* (الإصدار 1). (الدار البيضاء، 1426 هـ-2006م).

أبو بكر العزاوي. *الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه* (الإصدار 1). (تنسيق: حمو النقّاري) (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1427 هـ- 2006م).

أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)* (الإصدار 1، المجلد 1). (تحقيق وإخراج وضبط: محمد بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش) (دمشق: دار الرشد، 1421 هـ- 2000م).

جاك موموشلر، و آن ريبول. *القاموس الموسوعي للتداولية* (دون طبعة). (عز الدين المجدوب، ومجموعة من الأساتذة، و المركز الوطني للترجمة) (تونس: دار سيناترا، 2010م).

أبو بكر العزاوي. *الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته -دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة* (دون طبعة، المجلد 1). (الأردن: عالم الكتب الحديث، 2010م).

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. *العين* (دون طبعة، المجلد 3). (تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي) (دون بلد، دون سنة).

أزفالد ديكرو. *السلميات الحجاجية* (الإصدار 1). (ترجمة وتقديم: أبو بكر العزاوي) فاس، (المغرب: مطبعة وراقة بلال، 2020م).

جميل حمداوي. *من الحجاج إلى البلاغة الجديدة* (الإصدار 1). (الدار البيضاء، المغرب: مطبعة أفريقا الشرق، 2014م).

جميل حمداوي. *أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة* (الإصدار 1). (تطوان، المملكة المغربية: مطبعة Rive،2020م).

جميل حمداوي(دون سنة). من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة. (*شبكة الألوكة*). تم الاسترداد من www.alukah.net

حافظ إسماعيلي علوي. *التحاجج والتناظر آليات كشف التغليط وآداب التناظر في تراث ابن حزم الأندلسي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي- دراسة في البلاغة الجديدة-* (الإصدار 1). (المملكة المغربية: دار ورد الأردنية، 2011).

رشيد الراضي. *الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار* (الإصدار 1). (بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010م).

رشيد الراضي. *الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو* (المجلد 34). (عالم الفكر، 2005).

طه عبد الرحمن. *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (الإصدار 1). (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998م).

عبد العالي قادا. *بلاغة الإقناع –دراسة نظرية وتطبيقية–* (الإصدار 1). (دون بلد: كنوز المعرفة، 1437 هـ– 2016م).

عبد الهادي بن ظافر الشهري. *إستراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–* (الإصدار 1). (بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م).

علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني. *التعريفات* (دون طبعة). (تحقيق ودراسة: محمد صدّيق المنشاوي) (القاهرة: دار الفضيلة، دون سنة).

مثنى كاظم صادق. *أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي –تنظير وتطبيق على السور المكية–* (الإصدار 1). (بيروت، لبنان: دار عدنان، 1436 هـ– 2015م).

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.. *القاموس المحيط* (الإصدار 8). (بإشراف محمد نعيم العرقسوسي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة) (بيروت، لبنان، 1462 هـ– 2015م).

محمد الطاهر بن عاشور.. *تفسير التحرير والتنوير* (دون طبعة، المجلد 15). (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).

محمد بن جرير بن يزيد الطبري. *جامع البيان من تأويل آيّ القرآن (تفسير الطبري)* (الإصدار 1، المجلد 1). (تهذيب وتحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معرف وعصام فارس الحرستاني) (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415 هـ – 1994م).

نعمان عبد الحميد بوقرة. *القيمة الحجاجية في النّص الإشهاري، ضمن كتاب: إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته* (الإصدار 1، المجلد 4). (دون بلد: عالم الكتب الحديث، 1431 هـ– 2010م).